النثـــــر الفنـــــي
في عهد النبوة

م.م. نادية عطا خميس

الخلاصة

النثر الفني في عهد النبوة

إن النثر الفني في عصر النبوة، لم يكن يختلف اختلافاً جوهرياً عن النثر الجاهلي من الناحية التـي تتـصل بوصـف الألفاظ والأساليب لأن شكل الحياة لم يكن قد تغير بعد، ومعنى هذا إن منازع الخيال كانت واحدة بين العهـدين.اعتمـدت خطة البحث ثلاثة فصول وخاتمة.

تنأول الفصل الأول، ماهية النثر وضروبه بصورة عامة وتحديد نشأة النثر الفني في اللغة العربية.كما تعرضـت الـى نظرة موجزة عن النثر في العصرين الجاهلي والإسلامي ودرس الفصل الثاني موضوعات النثر في عصر النبوة والطـابع الانشائي للكتب والاحاديث النبوية.وكرس الفصل الثالث لدراسة نماذج من موضوعات النثر في عهد النبـوة والمميـزات والخصائص الفنية للنثر في هذا العهد.

المقدمة:

احمد الله حق حمده واصلي واسلم على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبعد.

لقد كنت آمل ان ادرس هذا الموضوع دراسة اكادمية لنيـل شهادة عليا ولكن شاءت الاقدار ان تكون دراسـته كأحـد البحوث المقدمة للترقية العلمية..

فقد انتهجت في هذا البحث نهجاً علمياً محـدداً.حيـث شرعت الكتابة على أساس خطة اعتمدت ثلاثة فصول وبني كل فصل على مبحثين..

ففي الفصل الأول مبحثان قدم أولهما فكرة عامة عن ماهية النثر وضروبه وتحديد نشأة النثر الفني في اللغة العربية.. ثم عرض نظرة موجزة عن النثر في العـصر الجـاهلي.. وتنأول ثانيهما،دراسة موجزة عن النثر العربي في العـصر الاسلامي مستعرضاً بعد ذلك صورة هذا النثر عند منبثـق الاسلام وانواعه في هذه الحقبة.

اما الفصل الثاني..فدرس مبحثه الأول موضوعات النثر في عهد النبوة ونماذجه. ووضـع المبحـث الثـاني..الطـابع الانشائي للكتب والاحاديث النبوية.

واما الفصل الثالث..فقد اختار مبحثـه الأول نمـاذج مـن موضوعات النثر في عهد النبوة.واشار المبحث الثاني الى المميزات والخصائص الفنية للنثر في هذا العهد.

ومن ثم كانت الخاتمة التي لخصت ماجاء في هـذا البحـث ونتائجه راجية من الله السعة في العلم وان يفتح لنا السبل لما فيه خير الدارين.

الفصل الأول

المبحث الأول

ماهية النثر (نظرة عامة)

النثر بمعناه العام هو: الكلام المرسل الذي اطلـق مـن قيود الوزن والقافية وهو انواع ثلاثة:

١- النثر العادي:

وهو الذي يستخدمه عامة الناس فـي لغـة تخـاطبهم العادية دون ان يحلفوا، أو يقصدوا فيه الـى شـئ مـن الرواية أو التفكر أو الزخرف وانمـا يرسـلونه مباشـرة لمجرد التعبير عن حاجتهم المختلفة وهذا النوع من النثر لا يعنينا ان نتعرض له في بحثنا هذا.

٢- النثر العلمي:

وهو الذي تصاغ فيه الحقائق العلمية لمجرد ابرازهـا والتعبير عنها دون عناية بالناحية الفنية، وهذا النوع هو الآخر لا يدخل في نطاق دراستنا.

٣- النثر الفني:

وهو الذي يرتفع به اصحابه عن لغة الحديث العاديـة ولغة العلم الجافة الى لغة فيهـا فـن ومهـارة ورويـة، ويوفرون له ضروباً من التنسيق والتنميـق والزخـرف، فيختارون ألفاظه،وينسقون جمله،وينمقون معانيه.فيكـون النثر الفني بهذا المعنى:لوناً جميلاً من الانـشاء العـالي للتعبير عن خلجات النفس الراقية.وهذا النوع هو موضوع عناية النقاد ودارسي اللغة والآدب في كل زمان ومكان.

وانما وصف هذا النوع من النثر بأنه فني لأنه يـستخدم ألواناً من الطاقات الفنية المختلفة من حيث الدقة في اختيار الالفاظ وتنمينها،وتركيب الجمل،وصياغة العبارات وتـأليف المعاني،والمناسـبة بينهـا وبـين الكلمـات التـي تعبـر عنها،ولذلك تتفأوت اقدار الكتاب ومنـازلهم الادبيـة تبعـاً لتفأوتهم في المقدرة على الافتان في هذه الاشـياء، ومـن ناحية اخرى انه يوفر للنفس ما توفره لها الفنـون الأُخـر كالموسيقى والشعر والرسم والتصوير من ضروب الامتـاع الفني.ومن ثم فأننالا نستطيع ان نسمي النثر العادي الـذي يستخدم في لغة الحديث،أو النثر العلمي الذي تـصاغ بـه صياغة جافة نثراً فنياً لأنه لا اثر في كليهما للطابع الفني.

نشأة النثر في اللغة العربية:

قد اختلف النفاد والباحثون[١]، اختلافـاً طـويلاً حـول اسبقية النثر والشعر، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى لاداعي للإطالة بذكرها في هذا المقام. والذي يعنينا هو انهـم قـد اتفقوا على ان النثر الذي يحتاج الى روية وتفكير واعـداد خاص لم يظهر عند الامم القديمة التي كان لها ادب إلا بعد ظهور الشعر،لأن هذا النوع من النثر يحتاج الـى وجـود جماعة انسانية منظمة راقية تسودها أوضـاع اجتماعيـة معقدة.

ومن ثم النثر الفني قد نشأ في مرحلـة متـأخرة عـن الشعر، ولعل مما يؤيد هذا ماجـاء فـي دائـرة المعـارف الفرنسية من ان اللغة التأليفية التي كانت سائدة في بـلاد الاغريق القديمة هي لغة الشعر، ولم يعرف ان انساناً كتب النثر قبل(بوزانيس- Pousanias سنة ٩٤٠ق.م).حيـث كتب بالنثر لأول مرة قصة(كورنت – Corintha) ثم جاء من بعده (فريـسيد دي سـيروس – Pheresyde سـنة ٧٤٠ق.م). حيث عمل أول انتاج فلسفي بالنثر.والذي يعنينا ان نبحثه الآن، وهو تحديد الوقت الذي نشأ فيه هذا الفـن في اللغة العربية العصر الجاهلي أو العصور الاسلامية؟

يجد الباحث عنتاً كبيراً حينما يحأول تحديد الوقت الـذي نشأ فيه النثر في اللغة العربيـة. إذ أن البـاحثين الـذين تصدوا لدراسة الادب الجاهلي قد اضطربوا اضطراباً ظاهراً في تقدير الوجود الادبي لعرب الجاهلية ولاسيما فيما يتعلق بالنثر،ولم يستيطعوا على الرغم من جهودهم ودراستهم ان يصلوا في ذلك الموضوع الى نتيجة ثابتـة أو رأي موحـد يمكن الاطمئنان إليه،واتخاذه اساساً يقوم عليه بحث علمي سليم.

ويكاد مؤرخو الادب جميعاً يتفقون على عدم صحة شئ منها، وإنما تصل إلينا بطريقة ثابتة أو مرجحة حتى يمكـن الاطمئنان إليها من الناحية العلمية، وجعلها وسيلة ترسـم لنا صورة النثر الجاهلي وتعين لنـا أسـاليبه وخصائـصه وفنونه. ولعلهم متفقون كذلك على ان السبب في عدم الثقة بهذه النصوص هو ان وسائل التدوين التي تحفـظ الاثـار الادبية لم تكن ميسرة في ذلك العصر، إذ ان العرب اذ ذاك لم يكونوا يعرفون الكتابة. وهم على فرض معرفتهم لها لم يستخدموها في تدوين آثارهم الادبية، بل استخدموها فـي اغراضهم السياسية والتجارية. ثم إذا كان النثـر بطبيعتـه لايساعد على حفظه وبقائه في الذاكرة، لخلوه من روابـط

الوزن والقافية التي تساعد على الحفظ كالشعر مثلاً، وكانت الشقة بعيدة بين الجاهليين والعهد الذي دونت فيه الاثـــار التي تسبب إليهم. ثم كانت هذه الاسباب الآنفة التي تـــدفع الرواة بطبيعتها على الدرس والانتحال، إذا كان هذاكله فأن تلك النصوص النثرية الجاهلية التي بين ايدينا يغلب علـــى الظن ليست لهم.

لكن الصراع مازال قائماً، ويحتـــدم بـــين طائفـــة مـــن المؤرخين المحدثين في الشرق والغرب حول تقدير الوجود الادبي لعرب الجاهلية فيما يتعلق بالنثر الفني.

الطائفة الأولى: يمثلها الدكتور زكي مبارك[٢]، ويؤكد انه قد كان للعرب في الجاهلية نثر فني له خصائـــصه وقيمتـــه الادبية، وان الجاهليين لابد وان يكونوا قد بلغوا في ذلـــك المضمار شأوا بعيداً لايقل عما وصل إليه الفرس واليونان في ذلك الوقت، بل انهم في انتاجهم الادبي في النثـــر لـــم يكونوا متأثرين تأثيراً كبيراً بدولة اخرى مجـــأورة، وانمـــا كانت لهم فـــي كثيـــر مـــن الاحيـــان اصـــالتهم وذاتيـــتهم واستقلالهم الادبي الذي تقتضيه بيئتهم المستقلة، وحياتهم التي كانت اقرب الى الانعزال.وإذا كانت الظروف المختلفـــة لم تساعد على بقاء هذا التراث من النثر الجاهلي، فلـــيس معنى ذلك ان نهدره ونحكم بعدم وجوده، وانمـــا يجـــب ان نلتمسه في مصادر أُخر. ونحن ان قلنا هذا فسوف نجد بين ايدينا حجة لاتنكر، وليلاً لايحجد على ان ثمة نثراً جاهليـــاً كان موجوداً، إلا وهو القرآن الكريم. فإذا كنا نؤمن بأن هذا القرآن قد نزل لهداية هؤلاء، وارشادهم، وتنظـــيم حيـــاتهم في نواحيها المختلفة من دينيـــة، واخلاقيـــة، وسياســـية، واجتماعية واقتصادية، وانه يخاطبهم وهم بطبيعـــة الحـــال لايخاطبون إلا بالاسلوب الذي يفهمونه ويتذوقونـــه، وانـــه كان يتحداهم في محاكاته، والاتيان بسورة مـــن مثلـــه وان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، كما يقول علماء العـــرب وكالآية الكريمة (وما ارسلنا من رسول إلا بلـــسان قومـــه ليبين لهم)[٣] ، تأكد لنا ان العرب الجاهليين قد عرفوا النثر الفني، وان القرآن يمكن ان يعطينا صورة- ولو تقريبية- عن شكل هذا النثر، ومنهجه، وحالته التي كان عليها.

الطائفة الثانية: يمثلها الدكتور طه حسين[٤]، يؤكـــد ان النثر الفني بمعنى انه تعبير جميل رصين محكم يـــستدعي الروية والتفكير والاعداد، لايتصور ان يكون موجوداً فـــي العصر الجاهلي، إذ ان هذا اللون من النثر إنما يلائم نوعاً من الحياة لم يكن قد تهيأت للعرب اذ ذاك.

فهذه الحياة الأولية الفطرية السهلة التي كـــان يحياهـــا العرب قبل الاسلام لم تكن تسمع بقيام هذا اللون من الكتابة الفنية التي تستدعي بطبيعتها الروية، والتفكيـــر، ووجـــود جماعة انسانية منظمة تسودها أوضاع سياسية واجتماعية معقدة. وهذا النثر المنسوب الى الجاهليين ليس إلا شـــيئاً منحولاً مدسوساً عليهم. فهذه الخطب، والوصايا،والـــسجع، والكلام الي ينسب لقس بن ســـاعدة واكـــثم بـــن صـــيفي، وغيرهما يكفي ان ننظر إليه نظرة واحدة لنرده بأجمعه الى العصور الاسلامية التي انتحلت فيها كـــل هـــذه الاشـــياء، للاسباب نفسها التي انتحل الشعر من اجلها واضيف الـــى الجاهليين.

فالخطابة كما يراها الدكتور طه حسين[٥]، ليـــست فنـــاً طبيعياً لابد ان يظهر في كل امة مهما كان شـــأنها،ومهمـــا كانت حياتها بل ان الخطابة ظاهرة اجتماعية، ملائمة لنوع خاص من الحياة، تلك هي الحياة الاجتماعية المنظمة. وكل حياة العرب قبل الاسلام لم تكن تدعو لقيام خطابـــة قويـــة ممتازة، فالبيئات الحضرية كانت مشغولة بالمال والاقتصاد، وهذا لايدعو الى وجود الخطابة. والبيئات البدويـــة التـــي كانت تشيع فيها الحروب والخصومات انما كانت تشيع فيها المحأورات التي تلائم هذا النوع من الحياة.

ويعترف بأن بعضها يجب ان يكون جاهليـــاً بـــلا شـــك، ولكنه يعود فيرى انه من العسير نسبة شئ ما على وجـــه اليقين الى العصر الجاهلي. على ان الامثال بطبيعتها مـــن قبيل الادب الشعبي الذي لايصلح ان يكون اساساً لدراســـة

النثرالفني، وتعيين صوره واشكاله، ثم انه إذا كانت حيـاة الناثرين الجاهليين مضطربة وغامضة، حيث ان قـس بـن ساعدة تقدر حياته احياناً بسبعة قـرون، واحيانـاً بثلاثـة قرون واخرى بقرنين ونصف، وكذلك اكثم بن صيفي ومـن إليها. إذا كانت حياة هؤلاء مضطربة وغير واضحة، واجدر بالكلام الذي ينسب إليهم الاّ يصح الاعتماد عليه.

اما رأيه في القرآن[٦]، فهو نمط اخر من انماط القـول، فلا هو بالشعر ولا هو بالنثر، وانما هو قرآن، وعلى هـذا فلا يصح اعتباره على نحو ما اساساً لدراسة النثر الفنـي في العصر الجاهلي.

وبعد كل هذا فأن الاستنتاج العقلي، والحقائق التاريخيـة الثابتة التي يمكن ان نستند إليها في دراسة الادب الجاهلي، تؤكد لنا انه قد كان للعرب في الجاهلية نثر فني بلـغ الـى درجة ما من الرقي والجودة وان هذا النثر قد عالج كثيراً من مظاهر حياتهم التي كانوا يحيونها.

فأما ان حياة الناثرين الجاهليين مـضطربة وغامـضة فيكفي للرد على هذا ان النبي محمد (ص) هو الـذي روى كلام قس بـن سـاعدة، وموقفـه علـى جملـه بعكـاظ، وموعظيته، وهو الذي رواه لقريش والعرب، وهـو الـذي عجب من صفه، واظهر من تصويبه، وهذا اسـناد تعجـز عنه الاماني وتتقطع دونه الآمال[٧]

اما ان حياة العرب قبل الاسلام كانت أولية فطرية وهـي بذلك لاتساعد على وجود النثر الفني الذي تستدعيه الحياة الراقية المتحضرة التي اتيح لها قدر من التقدم الـسياسي، والفكري، والاقتصادي. فالذي لاشك فيه ان العـرب قبـل الاسلام- وبخاصة قريش- قد اتيح لها شـئ مـن التقـدم السياسي والاقتصادي وانها كانت بحكم وضعها في جزيـرة العرب وانشغالها بالتجارة على صلة دائمة بالشام والعراق وفارس واليمن.

واما ان القرآن لايصح ان يتخذ اساساً لدراسـة النثـر الجاهلي بحجة انه ليس بشعر ولـيس بنثـر فهـذا قـول لايقضي به المنطق السليم، إذ انه من المـسائل البديهيـة المقررة ان الكلام اما نثر واما شعر، وان الشعر هو الكلام الذي تحكمه روابط الوزن والقافيـة، والنثـر هـو الكـلام المرسـل الـذي خـلا مـن هـذه الـروابط ، وان النثـر والشعركليهما يتفأوتان ضعفاً وقوة، حـسبما تقـضي بـه مقاييس البلاغة وقواعد النقد الادبي، وان هـذه القواعـد، وتلك المقاييس وحدها هي التي وضعت القرآن في اعلـى درجات البلاغة، حتى كان في مرتبة لايجارى فيها ولايدانى إليها، وهي مرتبة الاعجاز. إذن فليس ثمة اسباب منطقيـة أو عقلية تجعل من القرآن نمطاً جديداً من أنمـاط القـول لاهو بالشعر ولاهو بالنثر، انما القرآن- كما هو ظاهر من طبيعته- نثر فني خالص له كل مقومات النثر، وقـد نـزل بلغة العرب، وعلى لسان واحد منهم ، فهو يمثل هذه اللغة شيئاً من التمثيل بحيث يمكننا ان نلتمس فيـه خصائـصها ومميزاتها.

فأن القرآن الكريم وحده مغن عن كل هذه المحأولات، ففيه الحجة الساطعة، والبرعان الذي لايحتمل الريب، على انه قد كان للعرب في الجاهلية نثر فني، إذ انه لايستـساغ في العقل، ان تظل اللغة العربية بسيطة ساذجة حتى ترتفع طفرة واحدة الى اسمى درجات القوة والبلاغة التي تمثلـت في آيات القرآن الكريم، بل لابد ان يكون دون ذلك نـشاط ادبي واسع الاطراف، وان يكون هذا القرآن تاجاً لنهـضة ادبية ضخمة. ولايستساغ في العقل كذلك ان يجـئ كتـاب كالقرآن لقوم لايفهمونه ولايدركون مدى ما في اسلوبه من بلاغة وسمو واعجاز، وليس من المعقول ان يتحدى القرآن العرب صراحة ان يأتوا بمثله أو سـورة مـن مثلـه، ثـم لايكون لهم شئ ما من بلاغة القول حتى يكون لهذا التحدي معناه.

وبعد أليس لنا الآن نقرر في طمأنينة علمية، أن النثر في اللغة العربية قد نشأ من العصر الجاهلي ؟ أليـس لنـا الآن أن نثق بهذا العصر شيئا من الثقة، ونعتـرف بكيانـه

الأدبي الذي طالما تلاشي في ضباب الشكوك شيئا من الاعتراف[٨].

اقول..

الكلام الذي ذكرناه آنفاً كان عن نشأة النثر بصورة ومن الاحرى بنا ان نعترف بكينونة النثر الذي سبق النثر في العصر الاسلامي وهو النثر الجاهلي.

لقد اتفق مؤرخو اللغة العربية وآدابها كما اتفق مؤرخو الاسلام على ان العرب لم يكن لهم وجود ادبي ولا سياسي قبل عصر النبوة وان الاسلام هو الذي احياهم بعد موت ونبههم بعد خمول.

وهذا الاتفاق يرجع الى اصلين: فهو عند مؤرخي الاسلام من المسلمين تأييد لنزعة دينية يراد بها اثبات ان الاسلام هو الذي خلق العرب خلقاً وانشأهم إنشاء: فنقلهم من الظلمات الى النور، ومن العدم الى الوجود. وهو عند مؤرخي اللغة العربية وآدابها يرجع الى الشك في كثير من النصوص الادبية التي اثيرت عند العرب قبل الاسلام من خطب واسجاع وامثال.

وهناك رأي مثقل بأوزار الخطأ والضلال وهو رأي المسيو مرسية ومن شايعه كالدكتور طه حسين. وذلك الرأي يقضي بأن العرب في الجاهلية كانوا يعيشون عيشة أولية (Primitif) والحياة الأولية لاتوجب النثر الفني انه لغة العقل قد تسمع بالشعر انه لغة العاطفة والخيال. المسيو مرسية يؤمن بوجود الخطب في العصر الجاهلي، وينكر انكاراً مطلقاً ان يكون هناك نثر فني كالذي يلجأ إليه الرجل لإذاعة فكرة، أو دفع شبهة، أو ايضاح مشكلة وفاته وفات اشياعه ان القرآن يشير الى انه كانت هناك كتب دينية وادبية لم يطلع عليها النبي (ص) حتى يتهم بأنه لفق القرآن مما نقل إليه من علوم الأولين.

وكانت حجة المسيو مرسية انه لو كانت هناك مؤلفات نثرية لدونت وحفظت ونقلت إلينا كلها أو بعضها كما هو الشأن في آثار الهند والفرس والروم.

وخلاصة القول انه كان للعرب قبل الاسلام نثر فني يتناسب مع صفاء اذهانهم وسلامة طباعهم، ولكنه ضاع لأسباب اهمها شيوع الامية، وقلة التدوين، وبعد ذلك النثر عن الحياة الجديدة التي جاء بها الاسلام ودونها القرآن.

وقد نقل لنا رواة الادب القديم، وحفظت لنا كتب التاريخ واللغة والادب شيئاً كثيراً من الخطب والوصايا، والامثال والحكم التي تنسب الى العصر الجاهلي، ومجموع هذه الانواع هو ما يمكن ان يسمى بالنثر الفني عند الجاهليين[٩].

ومن تلك الخطب التي ذكرها لنا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين لقس بن ساعدة يقول فيها:[١٠]

(ايها الناس اجتمعوا، فاسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ماهو آت آت، وهو القائل: في هذه آيات محكمات، وطرونيات، أباء وامهات، وذاهب وآت، نجوم تمور، وبحور لا تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، وليل داج، وسماء ذات ابراج، مالي ارى الناس يموتون ولايرجعون؟ ارضوا فأقاموا، أم حسبوا فناموا؟ يامعشر اياد، ارى الناس يموتون ولايرجعون أين ثمود وعاد؟ وأين الاباء والاجداد؟ أين المعروف الذي لم يشكر؟ والظلم الذي لم ينكر، اقسم قس قسماً بالله ان لله ديناً هو ارضى له من دينكم هذا. وانشدوا له هذه.

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا..
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يمضي الأكابر والاصاغر
أيقنت اني لا محالة
حيث صار القوم صائر

المبحث الثاني

أولاً: النثر في صدر الاسلام:

يعد ظهور الاسلام حدثاً خطيراً، وفتحاً جديداً في حياة الامة العربية، وقوة هائلة دفعها الى تطور عميق، تجلت اثاره في كل من مظاهرها، ذلك لان الاسلام نظام جديد، شملت قوانينه كل فرع من هذه الحياة، فلم يدع شيئاً إلا عدله أو بدله.

وإذا كانت اللغة – كظاهرة اجتماعية – لابد ان تساير الحياة في تطورها، وتخضع لجميع المؤثرات التي تكتنفها فأن اللغة العربية قد اصابها بظهور الاسلام تطوراً كبيراً، اقتضته طبيعة هذا الانتقال الذي غير مضاجع الناس في تفكيرهم، ومعتقداتهم، وفي اخلاقهم، بل في حياتهم جميعاً.

نعم لقد تطور الأدب العربي منذ انبثق نور الاسلام تطوراً محسوساً، حيث وجد العرب امام اعينهم منبعاً ثراً يفيض عليهم من سحره واعجازه، وبلاغته فنهلوا منه، واستلهموا معانيه واغراضه، فوضحت في نثرهم اثار هذا التطور عمقاً واتساعاً، حينما اتسعت الفتوحات الاسلامية، وتم امتزاج العرب بأهل البلاد المفتوحة بالمصاهرة والمعاشرة، واتسعت حركة الترجمة، وشاعت الآداب والعلوم الاجنبية في مختلف الأوساط العربية، وتشبث العرب بمظاهر تلك الحضارات المختلفة التي رأوها في فارس وغيرها، واصبح الانسان يرى اثر هذه العقلية الجديدة التي استراحت بعد جهاد الفتح والغزو، والتقت فيها الوان مختلفة من الثقافات والآداب، اصبح يرى اثرها واضحاً في كل ما تمارسه من انتاج علمي أو ادبي.

والذي يعنينا الآن هو ان ندرس النثر الفني في عهد النبوة ومنبثق الاسلام وهي الحقبة التي يطلق عليها كثير من المؤرخين اسم (عصر صدر الاسلام) من السنة الأولى الهجرية الى سنة احدى واربعين هجرية، الذي يعنينا من هذا الفصل هو: ان ندرس النثر في تلك الحقبة، ونبين خصائصه ومميزاته وماذا عسى ان يكون قد اصاب من تطور بظهور هذا الدين الجديد،وهل اختلفت مناهجه وأوضاعه عن هذا النثر الذي عرفناه في الجاهلية؟ سندرس كل هذا ونفصل القول فيه، على ضوء من النصوص النثرية التي اخترناها من نثر هذه الحقبة.

ولقد درج بعض المؤرخين ودارسي الادب على ادماج هذه الحقبة في الحقبة التي تليها، وهي حقبة الخلافة الاموية ويطلقون عليها معاً اسم (عصر صدر الاسلام) [١١]، أو (العصر الاسلامي)[١٢]، إلا اننا قد رأينا ضرورة الفصل بينهما في دراستنا للنثر الفني، انه مما لاشك فيه ان النثر في عصر بني امية – وان كان قد احتفظ بعض الشئ في صدر هذه الدولة بمنهجه القديم، من حيث الجزالة والقوة والبعد عن التكلفة والزخرف – إلا انه قد تعرض في كنف هذه الدولة لألوان مختلفة من التطور. اعطته طابعاً متميزاً، وكان ذلك نتيجة لأحتدام الفتن السياسية والحزبية والمذهبية والدينية، وتكاثر التيارات الاجنبية التي بدأت تأخذ خطاها سريعاً الى البيئات العربية منذ عصر الفتوحات.

ثانياً: صورة النثر عند منبثق الاسلام:

ان الاسلام والقرآن كانا قوتين هائلتين غيرتا مجرى الحياة في جزيرة العرب بأسرها. اما الاسلام فهو – دين جديد وعقيدة مقدسة – فقد نقلهم الى لون راق من الحضارة الروحية المهذبة التي يسودها الحب والايثار والتضحية، واما القرآن فهو – كتاب مقدس مميز ازدانت آياته كلها بأرقى الوان الجمال الادبي – وقد وجه حياتهم الادبية وجهة جديدة يتجلى فيها التعبير الواضح عن اغراضه ومعانيه. نعم لقد اتاح الاسلام للسان والقلم ان يعمل كل منهما عمله في دأب وجهد للدفاع عنه والدعاية له، من احباط المؤامرات وحركات المقاومة التي لقيها في بدء ظهوره، ثم في الكتابة الى الملوك ورؤساء القبائل، والرد عليهم، والحديث الى وفودهم، ثم في استنهاض همم

الناس، وحفز عزائمهم للجهاد، كل ذلك وما إليه مما تتطلبه قيام هذا الدين الجديد قد بعث نهضة ادبية وجهها القـرآن الكريم، وقومتها احاديث الرسول وكتبه وخطبـه وخطـب صحابته وخلفائه.

ثالثاً : انواع النثر في هذه الحقبة :

لا تكاد انواع النثر التي عرفت عند صدر الاسـلام تزيد عن الانواع التي سبق ان عرفناها في العصر الجاهلي إلا في الرسالة. ذلك لأن الكتابة الخطية لـم تكـد تعـرف معرفة كاملة، أو تستخدم استخداماً تامـاً فـي الاغـراض المختلفة إلا حينما جاء الاسلام، ودعا الى تعلـم القـراءة والكتابة، حتى جعـل الرسـول (ص) فـداء الاسـير مـن المشركين في بدر تعليم عـشرة مـن صـبيان المـسلمين القراءة والكتابة.

حينئذ شاعت الكتابـة، واسـتخدمها النـاس فـي اغراضهم كافة فكان الرسول يملي رسـائله علـى كتابـه، وكان الخلفاء من بعده يكتبـون الـى ولاتهـم وعمـالهم ورؤساء جيوشهم في مختلف الشؤون، وهـؤلاء يـردون عليهم،كان الرجل يكتب الى بنيه أو عشيرته موصياً، والى اخوانه مهنئاً أو معزياً، وهكذا ادى شيوع الكتابة ومعرفـة الناس بها عندما انشق الاسلام الى ظهور نوع جديد مـن النثر لم يكن معروفاً بصفة قاطعة من قبل. وهذا النوع هو الرسالة.

نعم لم يستخدم العرب الكتابة في بداية عهدهم بهـا إلا في هذا النوع من الضئيل من الكتابة الفنيـة إلا وهـو كتابة الرسائل، فلم يكتبوا – آن ذاك – كتاباً ذات قيمة فـي التاريخ ولا في الادب، ولا في القصة ولا في غير ذلك مـن فنون النثر الأخر، ولم يحأول شيئاً من ذلك إلا حينما جـاء عثمان (رض)، واهتم بكتابة المصحف فجمع كل مـا كتـب منه. فكان القرآن الكريم هو أول اثر عربي ضخم كتب بلغة العرب ومع ذلك فليس من بأس في ان نعد الرسالة – على الرغم من ضالتها – آن ذاك – فناً جديداً اضيف الى النثـر العربي في تلك الحقبة من تاريخه. وبذلك تكون انواع النثر في عهد النبوة هي : الامثال وهي فن من الفنون الأدبيـة، ونوعاً من الاساليب النثرية التي كثر استخدامها في البيئات العربية المتقدمة وهذه الطائفة مـن الامثـال فـي صـدر الاسلام. (ان من البيان لسحرا) (نية المرء خير من عمله) (يد الله مع الجماعة) وغيرها.

ومن الانواع الأخر الخطب وهي ظاهرة ملازمة للحياة النابضة المعقدة الاغراض والحاجات والمطالب، فأنها فـي الحياة الاسلامية قد نشطت نشاطاً كبيراً وانتشرت انتـشاراً واسعاً فالدعوة الى الاسلام، والحروب الكثيرة، والفتوحات الواسعة وغيرها من الاحداث كان يستدعي الـسنة قويـة جبارة تعمل في النفوس عمل السحر حتى تستتب الاحوال، ويستقر الامر نهائياً لهذا الدين الناشئ الجديد.

وكذلك الوصايا وهي كالخطابة فـي جميـع مقوماتهـا الكلامية بل هي نوع من الخطابة، والفـرق بينهمـا – ان الوصية كلام يقولـه أو يكتبـه رئـيس لقومـه، أو سـيد لعشيرته، أو اب لبنيه في امر من امور الـدين أو الـدنيا، وغالباً ماتكون عند الاحساس يدنو الاجل أو العـزم علـى الرحلة، اما الخطبة ومن امثلتها وصايا النبي محمـد (ص) يقول: (واياك والبغي) فأن الله قد قضى إلا يحيـق المكـر السيئ إلا بأهله[١٣].

وكذلك الرسائل وهي مايكتبه الانسان الى اخوانه في امر من الامور الشخصية من عتاب أو تهنئه أو تعزيـة أو غيرها ويسمى هذا النوع بالرسائل الاخوانيـة أو مايكتبـه السلطان أو نائبه الى الرعية في امر من امورهم العامـة، وهذا ما يسمى بالرسائل السلطانية، أو ما يكتبـه رؤسـاء الدوأوين الى الولاة والعمال في شأن من شـؤون الدولـة ويسمى هذا النوع بالرسائل الديوانيـة، ولا تعنينـا هـذه الانواع التي تفرعت إليها الرسالة، وانما الذي يعنينا: هـو صيغتها الانشائية العامة، وما كان يتاح لها من القيم الادبية المختلفة.

وهناك نوع من النثر شاع بكثرة آنذاك –وعلى الأخص في مجالس الوعاظ والزهاد – وهو من ناحية الموضـوع اشبه شئ بذلك النثر الكهاني الذي كان ينتشر على الـسنة الكهان في الحلقات الدينية في العصر الجاهلي فهو من قبيل النثر الديني أو يسميه بعض[١٤]، مؤرخي النثر –العظـات الأخلاقية– وهو في الحقيقة نوع من الخطب، بنـي علـى الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والتزهيد في الـدنيا والفضل من قيمتها، والتحبيب في الآخرة والعمل لها.

الفصل الثاني

المبحث الأول

موضوعات النثر ونماذجه في عهد النبوة

الموضوع هو الفرض الاساس الذي من اجله يقصد العمل الادبي، فتلقى الخطبة أو تنـشأ الرسـالة، أو تـنظم القصيدة. وإذا كانت الاعمال الادبية في بيئة ما، انما هـي صدى دقيق لما يتردد في هذه البيئة من احداث، وما يجري فيها من امور حيث ان الشاعر أو الكاتب أو الخطيب انمـا يصور ما يرى ويصف ما يحس، فأن الاغراض الاساسـية للفنون الادبية لابد ان تختلف من بيئة الى بيئة، ومن وقت الى آخر حسبما تقض بذلك طبيعة الزمان والمكان والحال.

فمثلاً الخطبة في الاسلام قد اتيح لهـا مـن الـدوافع والدواعي ما لم يتح لها في العـصر الجـاهلي، ذلـك لأن الحياة العربية في الاسلام قد تغيـرت مناهجهـا واختلفـت أوضاعها، حيث انتقل الناس الى نظام جديد قد غير كثيـراً من احوالهم وشؤونهم العامة.

وكذلك حينما احتك العرب بغيرهم مـن اهـل الـبلاد المفتوحة، ونقلت العلوم والاداب الاجنبية الى اللغة العربية، وشاعت مظاهر الحضارات المختلفة فـي شـتى البيئـات والأوساط العربية، حينذاك: استحدثت في الكتابـة الفنيـة اغراض وموضوعات جديدة لم تكن موجودة من قبل، كمـا توارت اغراض وموضوعات اخر كانت شائعة ومـستعملة. وما ذلك إلا لأن البيئة العامة قد تغيرت فلا بد ان يشمل هذا التغير كل كائن فيها.

اما نماذجه، فلكـي نـستطيع ان نعـرف مـا هـي الخصائص الادبية للنثر في هذه المرحلـة مـن تاريخـه، ونقارن بينه وبين النثر الجاهلي، ونرى مـاذا عـسى ان يكون قد طرأ على النثر في عهد النبوة من تطور أو تغيـر فلا بد ان نثبت هنا طائفة من النصوص النثرية المختلفـة التي اثرت عن هذه المرحلة، متوخين الدقـة التامـة فـي اختيارها، واستبعاد كل مافيه شـبهة لغـرض سياسـي أو منهجي أو ديني، حتى تكون اكثر اطمئناناً الـى اسـتنتاج الخصائص الفنية للنثر على ضوئها.

واننا نضع في قمة هذه النصوص احاديث الرسـول وكتبه، ونتقدم أولاً الى دراستها وذكر طائفة منها.

أولاً: الحديث النبوي الشريف:

لقد حفلت كتب السير والحـديث والتـاريخ واللغـة والادب بكثرة من الاحاديث التي تنسب إليه بقوله (ص) في حديث يروي عنه (ان الاحاديث ستكثر عنـي بعـدي كمـا كثرت عن الانبياء من قبلي، فما جاءكم عنـي فأعرضـوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو عني، قلتـه أم لـم اقله)[١٥].

واغلب الظن ان وضع الاحاديث قد شاع منذ صـدر الاسلام حينما نجمت الخصومات السياسية والحزبية بـين المسلمين، لذلك فقد اهتم العلماء والفقهاء بالنظر في هـذه الاحاديث ونقدها، والتميز بين صحيحها وزائفها عن طريق الاسناد وغيره، وقد وصلوا في نهاية الامـر الـى وضـع الاحاديث النبوية في مراتب تمايز قوة وضعفاً على حـسب الاسناد الذي تروى به. وليس يعنينا ان نفصل القول فـي هذا الموضوع بالقدر الذي يهم مؤرخ الادب، والباحث فـي حياة النثر واطواره المختلفة، لذلك فأننا سوف لانكتفي في هذا الصدد بإسناد الحديث أو مرتبته، وانما سنستعين بأمور

اخر للتأكيد من صحة هـذه الاحاديـث، وجعلهـا اساسـاً لدراستنا وهذه الامور[١٦].

تتعلق بمعنى الحديث، وشكله الانشائي، ومدى مطابقتـه لروح العصر وثقافته، وعلاقته بالاحوال العامـة سياسـية ودينية واجتماعية، وكذلك مدى صـلته برسـالة الرسـول محمد (ص) وموافقته لما جاء في القرآن الكريم وما الـى ذلك من الامور التي تضيق دائرة الشك، وتزيد مـن قـوة الحديث والثقة به، لذلك فأننا سنرفض هنا كل حديث يخالف امراً مع الواقع، أو بعيداً عما جاء في القرآن، أو لـيس ذا صلة وثيقة برسالة، أو متنافياً لحديث اخر، فأننا لا نعتمده ولا نعول عليه، وهذا النوع كثير.

والأحاديث التي سنجعلها موضوع دراسـتنا ومحـل استشهادنا هي الاحاديث البريئة من الظنون، الخالية مـن هذه الشوائب، البعيدة عن كل هوى وغرض، الاحاديث التي توحي بأن قائلها هو محمد (ص) ليدعو بها الى فضيلة أو ينهي عن رذيلة، أو يقرر بها حكماً، أو يعالج امـراً مـن امور الدين والدنيا، وهذه الاحاديث كثيرة فيما اتفق علـى روايته.

طائفة من الاحاديث الصحيحة [١٧] :

١- قال ابو عبد الله (عليه السلام) قـال رسـول الله (ص) (اقض ما فاتك من صلاة النهار بالنهار وما فاتك من صلاة الليل بالليل قلت اقضي وترين وترين في ليلة فقـال نعم وترا ابداً)

١- قال رسول الله (افضل قضاء النوافل قضاء صـلاة الليل بالليل وصلاة النهار قلت فليكون وتران في ليلة قال لا قلت ولم تأمرني ان أوتر وترين في ليلة فقال (ص) احدهما قضاء).

٢- وقال: (الاعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمـن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسـوله، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرتـه الى ما هاجر إليه).

٣- قال رسول الله (ص): (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وانما انا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الامـة قائمة على امر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امـر الله).

كل هذه الاحاديث وما كان على شاكلته، مما يجـوز للباحث ان يتقبلها بشئ من الاطمئنان والثقة، حيـث انهـا جميعاً ما يتصل اتصالاً وثيقاً بحياة النبي – كصاحب رسالة – يرغب ويرهب،ويعد ويتوعـد، ويـأمر وينهـي، ويعـظ ويزجر، ويشرع، ويفتن، ويميز بين الخير والشر، والنفـع والضر، والحلال والحرام، الى غير ذلك من الامور الكثيرة التي من شأن صاحب الرسالة ان يضطلح بها، فليس فيهـا دعاية حزبية أو سياسية أو منهجية، وليس فيهـا مجافـاة للعقل والواقع، أو مخالفة في القرآن، وغير ذلك مما يقلـل من شأنها، ويضعف الثقة بها. على انه من الامـور التـي تقوي ثقتنا بمثل هذه الاحاديث ان الصحابة انفسهم قد دأبوا على تدوين الحديث منذ عهد النبوة.

واغلب الظن ان حركة التدوين والكتابة، قد بدأت منذ القرن الهجري الأول وان كانت لم تظهر بشكل محسوس إلا في منتصف القرن الثاني كما تقدم، كالكتب التـي تبودلـت بين الامام علي ومعأوية والكتب التي صدرت مـن خلفـاء بني امية الى عمالهم، ودونت آثار مختلفـة لرجـال هـذا القرن منذ بدايته.

ثانياً: الكتب النبوية:

ومن النصوص النثرية التي يمكن ان نستعين بهـا ايضاً في تعيين الخصائص النثرية في عهد النبـوة، تلـك الكتب التي كان يبعثها الرسول (ص) الى الملوك ورؤسـاء القبائل يصالحهم، أو يعاهدهم أو يهادنهم، أو يدعوهم الـى الاسلام، ويقفهم على تعاليمه وشرائعه، وقـد وردت هـذه الكتب في كثير من كتب اللغة والتاريخ والادب، نذكر مـن اهمها: تاريخ الطبري، الطبقات الكبرى لأبن سعد، الـسيرة النبوية لأبن هشام، العقد الفريد لأبن عبد ربة. وعلى الرغم

من ان المصادر قد اتفقت رواياتها لكثير من الكتب النبوية فأنه ينبغي لنا – ايضاً – إلا نبالغ في الثقة بها، بل نأخذها كذلك بشئ من الاحتراس، وما قلناه بصدد الاحاديث نقوله هنا، فلا بد اذن من استبعاد كل رسالة يشم منها الدعاية السياسية أو الحزبية، ويجب ان نعتمد فقط على الرسائل التي تصيب غرضاً واضحاً سليماً يتفق مع طبائع الامور ومقتضيات الاحوال.

وهذه طائفة من تلك الكتب، اعتمدنا في نقلها على كتاب الطبقات الكبرى لأبن سعد.

١- كتب رسول الله (ص) لعوسجة بن خرملة الجهني: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى الرسول عوسجة بن خرملة الجهني من ذي المروة. اعطاء ما بين بلكثة الى المضعة الى الجفلات الى الجد جبل القبلة لا يحاقه احد، ومن حاقه فلا حق له، وحقه حق، وكتب عقبة وشهد)[١٨].

٢- وكتب رسول الله (ص) الى اهل هجر (اما بعد. فأني أوصيكم بالله وبأنفسكم إلا تضلوا بعد ان هديتهم، ولا تقووا بعد ان رشدتم – اما بعد – فأنه قد جاءني وفدكم، فلم آت إليهم إلا ما سرهم، ولو اني اجتهدت فيكم جهدي كله اخرجتكم من هجر، فشفعت غائبكم، وافضلت على شاهدكم، فأذكروا نعمة الله عليكم ـــــ اما بعد ـــــ فأنه آتاني الذي صنعتم وانه من يحسن منكم لا احمل عليه ذنب المسئ، فأذا جاءكم امر بي فأطيعوهم، وانصروهم على امر الله وفي سببه، وانه من يعمل منكم صالحة فلن تظل عند الله ولا عندي) [١٩].

٣- وكتب رسول الله (ص) لبني جذاب من كلب: (هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لبني جذاب وأحلافهم ومن مظاهرهم على الصلاة وايتاء الزكاة، والتمسك بالإيمان، والوفاء بالعهد، وعليهم في الهاملة الراعية[٢٠]، في كل خمس شاة غير ذات عوار، والحمولة المائرة[٢١]، لهم لا غية والسقى الرواء[٢٢]، والعذى[٢٣]، من الأرض يقيمه الأمين وظيفة لا يزاد عليهم (شهد سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي)[٢٤]).

هذه طائفة من الأحاديث والرسائل النبوية، سقناها كنماذج للنثر في عهد النبوة، وعلينا الآن أن نذكر أهم خصائصها الإنشائية.

المبحث الثاني

الطابع الإنشائي لهذه الكتب وتلك الأحاديث

يتضح لنا من ملاحظة الأسلوب الإنشائي لأحاديث الرسول وكتبه، أنها كانت جميعاً تفيض من معين واحد، يتسم بالبساطة والسهولة والقصد وعدم التكلفة والخلو غالباً من الزخرف والصناعة اللفظية التي يعتمد فيها السجع والازدواج والبديع، إلا ماجاء من ذلك بوحي من الفطرة والطبع، دون تكلف أو تعمل.

١-السجع :

ولقد ناقش أبو هلال العسكري مسألة السجع هذه، وبين أن السجع :

(لم يكن في جميع صنوف الكلام احسن منه، إذا سلم من التكلف، وبرئ من العيوب) [٢٥]، واثبت ان كلام الرسول كان يشيع فيه احياناً السجع الفطري الذي لا كلفة فيه ولا صنعة، وبين ان النبي لم يكره السجع لذاته، ولم يحرمه لذاته، وانما كرهه لأن الكهان كانوا يسجعون متكلفين السجع، ولذلك فأنه قال له: أأدى من لا شرب ولا اكل ولا صاح فاستهل ومثل ذلك يطل:اسجعا كسجع الكهان؟ فالذي يبدو من هذا، ان النبي قد استنكر السجع الذي هو كسجع الكهان، لأن التكلف والتشادق من صفات السجع الكهاني، ولو استنكر الرسول (ص) السجع لذاته لقال: اسجعا؟ ثم سكت. ثم يستطرد ابو هلال مبيناً ان النبي كان يسجع فيقول: (وقد جرى عليه (أي السجع) كثير من كلامه عليه السلام، فمن ذلك ما حدثنا به يوسف الامام،بواسط، فقال حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله ابو شهاب عن عوف عن

زرترة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبـي (ص) المدينة انجعل الناس قبله، فقيـل قـدم رسـول الله، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما تبينت وجهه عرفت انـه ليس بوجه كذاب، فكان أول شئ تكلم به ان قـال: (ايهـا الناس: افشوا السلام، واطعموا الطعام، وصـلوا الارحـام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنـة بـسلام) وكـان (ص): اعيذه من الهمامة والسامة وكل عين الامة، وانمـا اراد ملمة. وقول عليه السلام :

ارجعن مأزورات مأجورات، وانما اراد مؤزورات من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة التسجيع.

ولعل في كلام ابي هلال هذا، اتجاهنا في تقدير مسألة السجع حينما تناولنا الحديث عنه بصدد القـرآن الكـريم، وهو ان السجع لون من الوان الاداء، يكون جميلاً ومقبولاً، إذا أوحى به الطبع، وقبيحاً مرذولاً إذا ادى إليـه التكلـف، ولعل الفرق بين هذين النوعين من السجع يتضح لنـا إذا قارنا هذا السجع الجميل الذي تراه احياناً فـي أي القـرآن الكريم، وفي بعض كلام الرسول، بهذا السجع الثقيل الـذي شاع وانتشر وملئ اللغة فساداً ابـان العـصور العباسـية المتأخرة اللاحقة لها.

إذن لقد وجد السجع في القرآن، كما وجد فـي كـلام الرسول،ولعل من اجمل موقع السجع ما جـاء فـي قولـه (ص): (اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع، ومـن طمع في غير مطمع، ومن طمع حيث لا مطمع، اللهم انـي اعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، وأعوذ بك من الجوع، فأنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فأنها بئست البطانة، ومـن الكـسل والبخـل والجبن، ومن الهرم، ومن ان ارد الى ارذل العمر) [٢٦].

٢-البدء والختام في الرسائل النبوية :

والرسول في كتبه لم يلتزم طريقة واحدة في البدء أو الختام، فهو احياناً كان يبتدئها – بأما بعـد – واحيانـاً – بسم الله الرحمن الرحيم – واحياناً بـــــــ(مـن) محمـد رسول الله الى فلان – واحياناً – محمد رسول الله الى فلان – واحياناً – بهذا الكتاب من محمد رسول الله الـى فـلان وكان يختمها احياناً بقوله: والسلام. أو : والسلام على من اتبع الهدى. واحياناً دونهما مطلقاً.

وعدم التزام طريقة واحدة في اساليب البدء والختام يدل على ان صاحب هذه الكتـب كـان يراعـي الظـروف ومقتضيات الاحوال، وكان يعني بألفاظه ويختارها، ولا ادل على ذلك من انه كان يخاطب كل قبيلة بلهجتهـا مناسـبة لحال المخاطب، لذلك كانت يأتي في كتبه احياناً الفاظ فيهـا مسحة من غرابة (كالهاملة، والحمولة والغدى) التي جاءت في كتابه لبني جناب.

٣-الإيجاز والأطناب في أساليب الرسول :

الذي نلاحظه بوجه عام، إن الإيجاز كان صفة ملازمـة لأحاديث الرسول وكتبه ومعظم كلامه، ولكن الموضـوعات التي كان يتناولها الرسول في أحاديثه وكتبه، ممـا ينفـي فيها الإيجاز، وتكفي فيها الاشارة واللمح، ولذلك فأنه اثـر الايجاز على الاطناب.

ومهما يكن من امر فأن نثـر الرسـول (ص) يعـد انموذجاً عالياً من نماذج النثر الفني ويتسم فـي عمومـه بالبساطة المحكمة والجزالة، والرشاقة أو قوة الاسر وبعـد الاشارة. فأن الجاحظ بعد كلام طويل يصف به بيان النبـي (ص): (... ولا يحتج إلا بالـصدق، ولا يطلـب الفلـج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يـستعمل المواربـة، ولا يهمز ولا يلمـز. ولا يبطـئ ولا يعجـل، ولا يـسهب، ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط اعم نفعاً، ولا اصـدق لفظاً ولا اعدل وزناً، ولا اجمل مذهباً ولا اكـرم مطلبـاً ولا احسن موقعاً، ولا اسهل مخرجاً، ولا افصح عن معنـاه ولا ابين عن فحواه من كلامه (ص)) [٢٧].

وقال محمد بن سلام: قال يونس بن حبيب: (ما جاءنا عن احد من روائع الكلـم مـا جاءنـا عـن رسـول الله (ص))[٢٨].

الفصل الثالث

المبحث الأول

نماذج من موضوعات النثر في عهد النبوة

أولاً: الخطابة

سبق ان اشرنا الى ان الاسلام قد اتاح للخطابـة مـن الدوافع والدواعي ما لم يتح لها في العصر الجـاهلي، وإذا كانت الخطابة ظاهرة ملازمـة للحيـاة النابـضة المعقـدة المتعددة الاغراض والحاجات والمطالب، فأنها في الحيـاة الاسلامية قد نشطت نشاطاً كبيراً وانتشرت انتشاراً واسعاً. فالدعوة الى الاسـلام، والحـروب الكثيـرة، والفتوحـات الواسعة، كل هذا وما إليه كان يستدعي السنة قوية جبـارة تعمل في النفوس عمل الـسحر حتـى تـستتب الاحـوال، ويستقر الامر نهائياً لهذا الدين الناشئ الجديـد. إذن فقـد توفرت للخطابة في عهد النبـوة اهـم مقوماتهـا واجـل دواعيها، فلا عجب إذن ان تـنهض وتقـوى، وان يختـار الخلفاء ولاتهم من الخطباء المصاقع ليكون لهم مـن قـوة التأثير، وسداد المنطقة، ما يساعدهم على اداء مهمتهم.

أشهر الخطباء في عهد النبوة:

إذا كان لنا أن نذكر أشهر الخطباء في صدر الإسـلام، فأنه يجب أن نضع مقدمتهم وعلى رأسـهم محمـداً (ص)، فهو اخطب العرب وأبينهم، أوتى جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، فقد روى ما يفيد انه خطب فـي قـريش كثيراً يدعوهم إلى الإسلام، وهذا شئ طبيعي بالنسبة لرجل تزعم اكبر انقلاب عرفه تاريخ العرب – ثـم يـأتي بعـده خلفاؤه من أمثال الإمام علي (عليـه الـسلام) وصـحابته فهؤلاء من أشهر الخطباء الإسلاميين الذين لعبت خطـبهم دوراً حاسماً في توصية العامة للدولة الناشئة.

وهذه طائفة من خطبهم المأثورة التي وعاها التـأريخ، وحفظها الأجيال.

نماذج الخطابة في عهد النبوة:

خطب رسول الله (ص) خطبة طويلة في حجة الـوداع جاء فيها: (الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتـوب إليه، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنـا، مـن يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد إلا اله الا الله وحده لا شريك له، واشـهد ان محمـداً عبـده ورسوله. أوصيكم عبـاد الله بتقـوى الله، واحـثكم علـى طاعته، واستفتح بالذي هو خير اما بعـد: ايهـا النـاس: اسمعوا مني ابين لكم،فأني لا ادري لعلـي لا القـاكم بعـد عامي هذا في موقفي هذا. ايها الناس: ام دماءكم واموالكم طرح عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمـة يـومكم هـذا فـي شهركم هذا في بلدكم هذا. الا هل بلغت، اللهم اشهد، فمـن كانت عنده امانة فليؤديها الى من ائتمنه عليها، وان ربـاً الى الجاهلية موضوع، وان أول رباً ابداً بـه ربـاً عمـي العباس بن عبد المطلب، وان دماء الجاهليـة موضـوعة، وان أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وان مآثر الجاهليـة موضـوعة غيـر الـسدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من اهل الجاهليـة، إلا هـل بلغت اللهم فأشهد..الخ).

ثانياً: الوصايا :

الوصية كالخطبة في جميع مقوماتها الإعلامية، بل هي نوع من الخطبة والفرق بينهما هو أن الوصـية كـلام يقوله أو يكتبه رئيس لقومه، أو سيد لعشيرته، أو أب لبنيه في أمر من أمور الدين أو الدنيا وغالباً مـا تكـون عنـد الإحساس بدنو الأجل أو العزم على الرحلة، أمـا الخطبـة فهي كلام يلقى على الجمع من الناس في أمر من الأمـور العامة الجامعة التي يعود عليهم في معاشهم ومعادهم وذلك

للتأثير فيهم وإثارة حماستهم نحو هذا الأمر. وقد كثرت الوصايا في كلام الرسول والخلفاء وصحابته.

نماذجها :

من وصايا النبي محمد (ص) قال رجل يا رسول الله: أوصيني بشئ ينفعني الله به قال: (أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا، وعليك بالشكر فأن الشكر يزيد في النعمة، وأكثر الدعاء لا تدري حتى يستجاب لك، وقال: أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم). (وإياك والبغي فان الله قد قضى إلا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) [٢٩].

وصية عمرو بن حبيب الصحابي لبنيه:

قال: (يا بني: إياكم ومخالطة السفهاء، فأن مجالستهم داء، وانه من حلم عن السفيه يسر بحلمه، ومن يحبه يندم، ومن لا تقر بقليل ما يأتي به السفيه يقر بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فليوطن قبل ذلك على الأذى، وليؤمن بالثواب من الله عزّ وجل، انه من يؤمن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مس الأذى) [٣٠].

ثالثاً: النثر الأدبي أو العظات الدينية والخلقية :

وهذا نوع من النثر – ويمكن ان يدخل في باب الخطب ايضاً كالوصية، إلا انه لا يقلق لحال من احوال الدنيا او يتناول امراً من امورها إلا بقدر ما يرغب عنها ويرصد فيها، وانما هو عظات دينية خالصة قوامها التوجه الى الله والدعوة إليه، والترغيب في الآخرة والتنفير من الدنيا وهذا طرف منه.

عظة للرسول (ص) :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس: ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، ان المؤمن بين مخافتين، بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبرة، ومن الحياة قبل الموت، فو الذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار)[٣١].

عظة للإمام علي (عليه السلام) :

حدثنا ابو بكر دريد (رحمه الله) قال: (حدثنا العكلي عن أبيه قال: عن ابن عباس انه قال: كتب علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه) بموعظة ما سررت بموعظة سروري بها. أما بعد: فأن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن يدركه، فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحا، وما فاتك منها فلا تتبعه اسفاً، فليكن سرورك بما قدمت، واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت) [٣٢].

رابعاً: الأمثال :

لما كانت الامثال فناً من الفنون الادبية، ونوعاً من الاساليب النثرية التي كثر أستخدامها في البيئات العربية المتقدمة، كان لابد لنا من دراستها لعلها تلقي ضوءاً على الخصائص الادبية في عهد النبوة. وهذه طائفة من الامثال في صدر الاسلام.

نماذجها : امثال قالها الرسول :

(ان من البيان لسحرا) (ان المنبت لاارضاً قطع ولاضهراً ابقى) (كل الصيد في جوف الفرا) (الوالد للفراش وللعاهر الحجر) (نية المرء خير من عمله) (يد الله مع الجماعة) (الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق) (الوحدة خير من صديق السوء) (ان مما ينبت الربيع مايقتل حبطا او يلم) وغيرها من الامثال [٣٣].

خامساً: الرسائل :

وهي نوع من الانواع النثرية التي اظهرت بيقين في صدر الاسلام وهي ثلاثة انواع منها الاخوانية وهي مايكتب الانسان الى اخوانه امراً من الامور الشخصية من عتاب اوتهنئة او تعزية او غيرها وسلطانية أي مايكتبه السلطان او نائبه الى الرعية من امورهم العامة، وديوانية وهي

مايكتبه رؤساء الدواوين الى الولاة والعمال في شأن من شؤون الدولة.

نماذجها :

-رسالة من الامام علي (ع) إلى معاوية : (فأما إلى الشام، فأني لم اكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب الاحشاشات انفس بقيت الا ومن اكله الحق فألى الجنة، ومن اكله الباطل فألى النار، واما استواؤنا في الحرب والرجال، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس اهل الشام بأحرص على الدنيا من اهل العراق في الاخرة، واما قولك : انا بنو عبد مناف، فكذلك نحن ولكن ليس امية كهشام ولا حرب كعبد المطلب، ولا ابو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كالصديق، والمحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدنمل، ولبئس الخلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم. وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اللنا بها العزيز، ونعشنا بها الذليل، ولما ادخل الله العرب في دينه أفواجاً، وسلمت له هذه الامة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة واما رهبةً، على حين فاز اهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً ولا على نفسك سبيلاً) [٣٤].

تلك نماذج سريعة خاطفة للانواع النثرية المختلفة التي كانت موجودة في عهد النبوة سقناها لنمهد بها الكلام على الخصائص والمميزات العامة للنثر الفني في تلك الحقبة ونستعين بها على ابراز هذه المميزات وتلك الخصائص.

المبحث الثاني

المميزات والخصائص الفنية للنثر في عهد النبوة

إن المنهج العام للنثر قد تغير في عصر النبوة عما كان عليه في الجاهلية المباشرة للاسلام، وبخاصة في اغراضه ومراميه وعواطفه واتجاهاته الموضوعية التي اقتضاها دين جديد يحتاج الى الدعاية والحماية ومقاومة خصومه الذين ناوءوه، بمحاربتهم وشن الغارة عليهم، ثم ما كان من اشتعال نار الفتن بين المسلمين بسبب الخلافة، وما تطلبه ذلك من الدعاية لكل فريق في السر والعلانية عن طريق الخطب والرسائل والمجاملات التي كانت تثور في المجالس والمساجد والاسواق ثم مادعت اليه الضرورة من ارشاد الناس، وتعليمهم امور دينهم ووعظهم بما يعود بالخير والنفع في دنياهم واخراهم. كل ذلك قد ادى فعلاً الى قوة الكتابة والخطابة ونهضتها وتشعب موضوعاتها، اما الناحية الشكلية التي تتصل باللفظ والجملة والاسلوب في عمومه، فلم تر ان ثمة فرقاً واضحاً من هذه الناحية اذا استثنينا طائفة من الالفاظ الاعجمية والسريانية والحبشية والرومانية التي يستخدمها القران الكريم، ثم شاعت في اساليب الخطباء والكتاب الاسلاميين بعد ذلك، على ان هذه الالفاظ العجم صارت عربية. ثم نزل القران وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب) [٣٥].

إذن ففي هذه الحدود نستطيع ان نميز بين خصائص النثر الفني فيما بين الجاهلية ومنبثق الاسلام، (اختلاف العاطفة والموضوع، اقتضاه انتقال العرب الى الحياة، الروحية الجديدة، وتشابه في الصور والمنهج، لأن المؤثرات البيئية التي استهدف لها النثر الجاهلي لم تكن قد تغيرت كثيرا عند منبثق الدعوة الاسلامية. والذي نلاحظه بوجه عام ان المؤثرات القوية العميقة التي غيرت مناهج النثر العربي تغيرا تناوله في شكله وموضوعه، لم تكن تظهر بشكل محسوس الا في ابان القرن الهجري الثاني او بالاحرى في ضل الخلافة العباسية حينما اخذت الحياة العربية تتجه نحو وضع جديد بدأ العرب يأخذون انفسهم وحياتهم بأبهة الملك، وينهلون من فيض هذه العلوم الكثيرة والاداب الغزيرة التي رفدتها جداول اجنبية بعد اتساع حركات الترجمة والتدوين وامتزاج العرب امتزاجاً وثيقاً بالاعاجم وغيرهم، حينئذ فقط تم التفاعل الشديد الذي

ظهر اثره في اللغة العربية نثرها وشعرها وموضوعاتها وأساليبها على السواء) [٣٦].

وقد يقال أن صلة العرب بالأمم الأجنبية قد بدأ في الحقيقة منذ عصر الفتوحات أو هو بالأحرى موجود منذ العصر الجاهلي فلم يكن لهذه الصلة أثرها في تطوير الأدب العربي منذ ذلك الحين وأدام لهذه الصلة ذلك الأثر الشديد في عمليات التطور؟ قد يقال هذا، ولكن الصلة التي يترتب عليها التطور الذي نعنيه، لابد أن تكون له صلة عميقة ووثيقة متغلغلة في كل شيء وهذه الصلة لم تتسع إلا بعد أن هدأت حركة الفتح، واختلط الشعب العربي بغيره من الشعوب الأخرى بالمصاهرة والمعاشرة والمجاورة، وأجاد الفرس لغة العرب، وأجاد هؤلاء لغة الفرس، ونقلت الآثار الهندية واليونانية والفارسية من علوم وفنون وآداب وفلسفات إلى اللغة العربية، وتشبع العرب تشبعاً شديداً بهذه المنقولات، وخلقت سطوة الملك وأبهة والحضارة نفوسهم وعقولهم خلقاً جديداً، فعمق إنكارهم، وشحذت خيالاتهم واتسعت معانيهم وتعددت مواهبهم، وظهر اثر كل هذا في أدبهم.

إذن فالنسق البياني العام للنثر الفني في عهد النبوة لا يكاد يختلف كثيراً عن النسق البياني الذي عرف به النثر الجاهلي إذا استثنينا تلك الأغراض والموضوعات الجديدة التي شغلت بها الخطب والرسائل عند منبثق الدعوة الإسلامية. ومع هذا فأننا سنعرض الآن لوصف النثر في عهد النبوة من حيث ألفاظه ومعانيه وأفكاره وأغراضه وأساليبه ومنهجه العام مسترشدين في ذلك بالنصوص المختلفة التي قدمناها آنفاً لنتبين ما عسى أن يكون من توافق أو تخالف بينه وبين النثر الجاهلي[٣٧].

الألفاظ :

إن الألفاظ في نثر عهد النبوة لا تختلف عن النثر في العصر الجاهلي من حيث سهولة وجزالة وعدم التوتر، والتعبير عن المعنى تعبيراً محكماً بسيطاً لا زيادة فيه ولا تنقص، ولو ذهبنا بين نصين نثريين، احدهما جاهلي والاخر في عصر صدر الإسلام من ناحية الالفاظ، وطريقة اختيارها وتأليفها وتعبيرها عن المعاني، لما وجدنا ثمة فرقاً يذكر بين هذين النصين من تلك الناحية، وإليك هذه المقارنة اليسيرة بين خطبتين، احدهما جاهلية والأخرى إسلامية:

قال زهير بن جناب يوصي بنيه: (يا بني: اني قد كبر سني، وبلغت حرساً من دهري، فأحكمتني التجارب والامور تجربة واختبار، فأحفظوا عني ماأقول وعوه. إياكم والخور عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فأن ذلك داعية للغم وشماتة للعدو، وسوء ظن بالرب، وإياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها امنين ومنها سارين، فأنه ماسخر قوم من قوم الا ابتلوا، ولكن توقعوها فأن الانسان في الدنيا غرض تعاور الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضوعه وواقع عن يمينه وشماله، ثم لابد ان يصيبه) [٣٨].

وقال عمر بن حبيب الصحابي يوصي بنيه ايضا : (يابني : إياكم ومخالطة السفهاء، فان مجالستهم داء، وان من يحلم عن السفيه يسر بحمله، ومن يحبه يندم، ومن لايقر بقليل مايأتي به السفيه، يقر بالكثير، واذا اراد احدكم ان يامر بالمعروف وينهي عن المنكر فليوطن قبل ذلك على الاذى، وليوقن بالثواب من الله عز وجل، انه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لايجد مس الاذى) [٣٩].

فان مقارنة يسيرة بين هاتين الوصيتين توحي بأنهما تنبعان من معين واحد من حيث سهولة اللفظ وجزالته، ومناسبته مع معناه من غير زيادة او نقص، ومن حيث ايثار اللفظ الذي يعبر عن المعنى تعبيراً حقيقياً مباشراً دون اغراب في الخيال او مبالغة في التصوير، نعم وجدت في النثر الفني فيما بين الجاهلية والاسلام ألوان مختلفة من الصور البيانية والتعبيرات المجازية ولكن هذا قليل إذا قيس بما شحنت به الاساليب العربية في العصور المتأخرة.

الأغراض والمعاني :

واذا كان المنهج الاسلوبي للنثر لم يكد يختلف كثيراً عند منبثق الاسلام عما كان عليه في الجاهليـة فإننـا نلاحـظ اختلافا بينما من حيث الموضوع والمعنى. مما لاشك فيـه ان الغراض التي شغل بها النثر في صدر الاسلام سواء في خطبه ورسائله ووصاياه وعهوده وامثالـه قـد اختلفـت اختلافا جوهريا عما كانت عليه فـي الجاهليـة، ذلـك لان مطالب الحياة الاسلامية قد اختلفت عـن مطالـب الحيـاة الجاهلية، والادب في اغراضه ومعانيه ليس الا تعبيراً عـن مطالب الحياة وحاجاتها، فالعربي في جاهليته لم يكن يشغل باله الا تلك الطبيعة فهو يركـز فيهـا عقلـه واحـساسه يصورها ويتحدث عن مظاهرها ومـا فيهـا مـن عظمـة وجمال، اما هنا فدين جديد غير مناهج الناس في التفكيـر والاحساس بالحياة، فالرجل فـي الاسـلام يـدعو ويعلـم، ويشرع ويعظ، ويدافع ويعاهد، ويهادن ويصالح، وكل اولئك موضوعات واغراض جديدة لم يألفها النثر الجـاهلي مـن قبل، ولقد استدعى التعبير عن هذه الموضـوعات معـاني جديدة تبرز جوانبها،

وتتفق مع طبيعتها، وقد كان القرآن الكريم هـو المبـع الثر الذي استمد منه الخطباء والكتاب معانيهم، لانهم انمـا كانوا يخطبون ويكتبون من وحي روحه وفـيض بلاغتـه. وانك لتجد اثر هذا كله واضحا في الاساليب النثرية لعهـد النبي والخلفاء فهي زاخرة بمعاني القـرآن معبـرة عـن اغراضه الكريمة.

وهذا هو – على ما نعتقده – مجال الفرق الواضح بـين نثر الجاهلية وصدر الإسلام.

العواطف :

اما العواطف التي قامت عليها الفنون النثرية المختلفـة في عصر النبوة، فقد ظلت على نقاوتها وصدقها وبعـدها عن الزيف والملق والافتعال، ذلك لان البيئة التي نتج فيها هذا انثر كانت ولم تزل بيئة سمحة وصريحة لم يرفقها بعد ضباب الاهواء والمطامع والغايات، ولم تفـسرها نـزوات السياسة واتجاهات حزبية وجشع المال والشهرة، فلم نـر فيها ذلك المدح الكاذب المفتعل الذي صنعه الملق والزيف، ولاهذا الهجاء المختلف الذي دعا اليه الحرمان من المـال والمنصب، لم نر فيه شيئا من هذا، وانمـا رأينـا صـفاء النفس، وصدق العاطفة، وسمو الغرض في تلـك الوصـايا الحكيمة المختلفة، وهذه الخطـب التـي تنـبض بحـرارة الايمان، وتشرق من عاطفته الـسامية الـصادقة، وهـذه الرسائل التي كانت تدفعها عواطف الاخلاص والولاء لهـذا الدين الجديد، ولتلك الحياة الجديدة.

الاسلوب عامة :

والاسلوب جزل قوي الاسر، محكم البناء متين الصياغة خال في عمومه من الصناعة اللفظية التـي يتكلـف فيهـا السجع والبديع والزخرف، وتنتصب لها الحلى اللفظية، واذا وقع فيه شيء من ذلك فهو غير معتمـد، وانمـا آت مـع الطبع والفطرة. ولكن ليس معنى ذلك ان النثر في عـصر النبوة كان كلغة الحديث العادية كما يزعم ذلك بعضهم [٤٠]، فان في تلك النصوص الكثيرة التي سردناها آنفـاً، وفـي سواها من الآثار النثرية لهذا العهد من المقومات البلاغية مايسمو بها سموا بعيداً عن لغة الحديث العادية، وان الذي يقرأ مثلاً خطب الامام علي بن ابي طالب (عليـه الـسلام) ورسائله ووصاياه يجد فيها الواناً مختلفـة مـن الفنـون البلاغية المختلفة التي لم تتكلف وانما اوصى بهـا الطبـع السليم، والفطرة الصادقة، فكانت مثلاً رفيعا للانشاء العالي الذي لاتعمل فيه ولاتكلف.

اذن لقد كان النثر في صدر الاسلام شيئا ارقى من لغـة الحديث العاديـة، لان هـذه اللغـة لايزورهـا اصـحابها، ولايعنون بها ولايشعرون لها بصعداء، ومع ذلك فان النثر في عصر صدر الاسلام، لم يكن صناعة فنية خالصة تجتلب لها الحلي والمحسنات اللفظية كما كان الامر فيما بعد، بـل كان مايقع فيه من ذلك بريئاً من التكلف بعيداً عن القـصد والتعمل [٤١].

الخاتمة

لكل عمل خاتمة... ولكل بداية نهاية.. والمسيرة أولهـا خطوة... أتوقف في خاتمة هذا البحث المتواضع عند اهـم النتائج التي تشكل خلاصة لها.

ان النثر الفني في عهد النبوة، لم يكد يختلـف اختلافـا جوهريا عن النثر الجاهلي من الناحية الشكلية التي تتـصل بوصف الالفاظ والاساليب، ذلك لان شكل الحياة نفسه لـم يكن قد تغير بعد فالصحراء هي الصحراء بكل مافيها مـن جبال ورمال وسهول ووديان، ووهاد ونجاد، فلم تجد فـي البيئة العربية عند منبثق الدعوة الاسلامية مظاهر جديـدة، ومعنى هذا ان منازع اليخال كانـت واحـدة بـين ذينـك العهدين.

اما اغراض النثر ومعانيه، فانها بلا شك قد تغير تغيـرا محسوساً بظهور الاسلام، لان الاسلام كما ـــ كما اسـلفنا ـــ كان انقلابا فكريـا وعاطفيـاً وجـه عقـول النـاس واحاسيسهم توجيهاً جديداً، ودفع اللسان والقلم الى التعبير عن أغراضه. والذود عن حرماته والاستماتة فـي سـبيل نشره، ورفع كلمته فكانت تلك الموضوعات الجديدة التـي شغل بها النثر الفني في صدر الإسلام، والتي لم يكن لهـا وجود من قبل فيء العصر الجاهلي.

الهوامش

(١) من حديث الشعر والنثر: الدكتور طه حـسين، ص٣٢، في الأدب الجاهلي الدكتور طه حسين، ص ٣٦٥.

(٢) النثر الفني، زكي مبارك، ص٤٤.

(٣) ابراهيم / الاية (١٤).

(٤) في الادب الجاهلي، طه حسين ص٣٦٩./ من حـديث الشعر والنثر، طه حسين ص ٢٤ وما بعدها.

(٥) في الادب الجاهلي، الدكتور طه حسين، ص ٢٧٣.

(٦) من حديث الشعر والنثر، الدكتور طه حسين. ص ٢٥.

(٧) البيان والتبيين، ج١، ص ٧٠.

(٨) النثر الفني واثر الجاحظ فيه، عبد الحكيم بلبع، ص ٢١ وما بعدها.

(٩) النثر الفني، زكي مبارك، ص ٣٣ – ٣٤.

(١٠) البيان والتبيين، للجاحظ، ج١، ص ٢٩٧ – ٢٩٨.

(١١) تطور الاساليب النثرية ، انيس المقدس ، ص ٩٤.

(١٢) النثر الفني ، زكي مبارك ، ج١/ ص ٥٧.

(١٣) البيان والتبيين ، ج ١، ص ٢١.

(١٤) تطور الاساليب النثرية – انيس المقدسي. ص ١٣٢.

(١٥) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج٢، ص ٢٥.

(١٦) تطور الاساليب النثرية ، انيس المقدس ، ص ٦٢.

(١٧) الكافي ، للكليني.

(١٨) الطبقات الكبرى لأبن سعد، ج٢، ص ٣٦.

(١٩) المصدر نفسه ص ٤٠.

(٢٠) الهاملة الراعية ، التي أهملت ورعت نفسها.

(٢١) الحمولة المائرة ، الإبل التي تحمل الميرة أي طعام.

(٢٢) السقى الرواء : الماء الكثير.

(٢٣) العذى ، بالكسر والسكون الـذال ، الـزرع الـذي لا يسقيه إلا ماء المطر.

(٢٤) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج٢ ، ص ٥٠.

(٢٥) الصناعتين ، ص ٢١.

(٢٦) الصناعتين ، ص ٢٣.

(٢٧) البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ١٦.

(٢٨) البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ١٨.

(٢٩) البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ٢١.

(٣٠) الامالي ، أبو علي القالي ، ج٢ ، ص ٥٧.

(٣١) البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٢٩٢.

(٣٢) الامالي ، ج٢ ، ص ٩٤.

(٣٣) مجمع الأمثال، ص٩٤، للميداني، ص ٦٢٥.

(٣٤) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٠.

(٣٥) النثر الفني، زكي مبارك، ج١، ص ٥٧ وما بعدها.

(٣٦) النثر الفني، زكي مبارك.

(٣٧) معجم الأدباء ، ياقوت الحمودي ، ج١٦ ، ص ٩٣.

المصادر

١ – القرآن الكريم

٢ – الامالي ابو علي القالي ـــ القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٢٦

٣ – البيان البيان والتبيين الجاحظ، القاهرة (مطبعة الاستقامة) سنة ١٩٤٧ م.

٤ – بلوغ الارب.

حمود شكري الالوسي (مطبعة دار السلام) سنة ١٣١٤م.

٥ – تطور الاساليب النثرية، انيس المقدسي – القاهرة دار العلم للملايين، بيروت ط (٥١)، ١٩٧٤.

٦ – الصناعتين

ابو هلال العسكري، الاستانة : سنة ١٣١٩ هـ.

٧ – الطبقات الكبرى، ابن سعد، القاهرة (مطبعة لجنة الثقافة الاسلامية) سنة ١٣٥٨ هـ.

٨ – عيون الاخبار، ابن قتيبة، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٢٥م.

٩ – في الادب الجاهلي طه حسين، القاهرة، (مطبعة الفاروق) سنة ١٩٣٣م.

١٠ – الكافي للكليني، بيروت (دار الملايين للطباعة والنشر)١٩٦٧ م.

١١ – مجمع الامثال ياقوت الحموي، القاهرة (مطبعة دار المأمون) سنة ١٩٢٥م.

١٢ – مجمع الامثال الميداني، القاهرة (مطبعة الخيرية) سنة ١٣١٥ هـ.

١٣ – من حديث الشعر والنثر طه حسين، القاهرة (مطبعة دار المعارف) سنة ١٩٣٦ م.

١٤ – النثر الفني زكي مبارك، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٣٤ م.

١٥ – النثر الفني واثر الجاهظ فيه، عبد الحكيم بلبع، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٦٨ م.

١٦ – نهج البلاغة (شرح ابن ابي الحديد)، الامام علي (عليه السلام)، القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الجلبي)، ١٣١٢ هـ.

Abstract:

Metaphor in holy Koran

I like to introduce in this research on of the miracles in Koran such as the metaphor in the sacred book the research consists of three parts and a conclusion, the first part deals with the identification of the metaphor in language and in idiom, the second part studies the basic constitutions and the important characteristic of the metaphor, the third part is concerned with the uses of the metaphor in holy Koran and dleir impact on the hearer and the conclusion I clearified the most important results and one of these results is that the first who established the dasis of the metaphor from the scientific side and idiomatic side is Abn hillal al askary and Abdul kadir Al jirjany in addition to that they discovcied the originality of what Koran needed to express through metaphor through its verses which included the metaphor as well as the study of artistic features and characteristics of prose during these age.